

الهجرة إلى "القهوة"

الآن, وقد فعلتها للخمس الاعوام الماضيه , بإمكانني القول بأنه ليوم من السهل أن يتمكن المرء من هجرة معشوقته الاولى "الأندلس" إلى ذات الدلال "القهوة". لقد نجحت القهوة بما امتلكت من اثاره متجدده أن تجعلني ابتعد عن الأندلس , لكن ليس إلا بالأمل الى العوده إليها يوماً.

كانت البدايه مع القهوة في سطر قراءته عند فرنان بروديل في كتابه الباهر "المتوسط و البحر المتوسطي في عهد فيليب الثاني" . في كتابه هذا الذي نظر إليه المـرخون بانبهار قلما قورن بعمل آخر في حقله, في هذا الكتاب قال بروديل من ضمن ما قاله عن جزيرة العرب والذي يعتبره إمتداداً جغرافياً وإقتصادياً للعالم المتوسطي: "أن القهوة كان يجلد شاربها في مكه".

ومثلما هي الحكمه ضالة المؤمن , فإن المعلومه هي ضالة المؤرخ , لقد وقع علي قول بروديل موقع الإستغراب والتساؤل . هل يعقل أن يصل سوء الفهم ببروديل إلى وصم العرب , وهم الذين ينكبون على قهوتهم نهارهم وليلهم , بانهم جالدوا شاربى القهوة.

لم يتولد من البحث حقيقة ما قاله بروديل , ففي مكه و المدينة و مصر على نهاية القرن التاسع الهجري / ١٥م كان شارب القهوة يجلد مثله مثل شارب الخمر . بل أثبت المضى في دروب القهوة طول وتشعب طريقه . لقد أكدت القهوة أن لها تاريخها , ولقد برهن على ذلك مئات المخطوطات والآلاف من المؤلفات , ليس في العربيه فحسب , بل في لغة كل قوم يدمنون على القهوة , ومن هو الذي لا يدمن عليها.

مثلما تجهل الغالبية جلد شارب القهوة , تجهل ايضاً غدو البن الى سلعة نقد خلال الكشوفات البحريه . ودخول العالم التجاري إلى مرحلة العولمه, لقد كان لهذه التقلبات التجاريه ضحايا , اولهم البرتغاليون ثم الهولنديون ومن بعدهم الفرنسيون والانجليز , ولا يستثنى من هؤلاء كل الدول التي وقعت تحت هيمنتها مثل مصر والدولة العثمانية .

لقد تحول الهدف من مجرد التحقق مما قاله بروديل الى مشروع كتاب. واذا كان William H.ukers قال عام ١٩٣٠م انه لانجاز كتابه All about coffee قرأ ما يزيد عن الثلاثين ألف وثيقة ومرجع , فإن الإنكباب على كتب القهوة فضلا على المخطوطات يجعلني أقرب من هذا العدد الكبير الذي غطيته خلال الخمس الأعوام المنصرمه.

أنا , فقط في إنتظار الناشر الذي يقدر هذا الجهد ويخرج كتابي كما أمل أن يكون .